

توطئة

أحداث وأبحاث أصبحت اليوم في أعماق التاريخ وجزءاً من مخزون ضميره الكبير، ولم تعد تطفو على السطح لتتعرّف إليها الأجيال، صارت كغلاطات مطبقة تستر ما حققه عظماء العرب من اكتشافات حضارية قدّمت للإنسانية أروع الخدمات، ثم طواها النسيان أو التتاسي، وغرقت في بطون الكتب والمصنفات فأهمّلت، وضاعت منها أعداد كبيرة في الغزوات والحروب والمكائد والتخلف والهمجية، كهولاكو حين صبغ مياه نهر "دجلة" بالسواد نتيجة إلقاءه مخزون كتب بغداد فيه. أو حين تكاثر الجهلاء وحساد حكيم الأندلس "عباس بن فرناس" واتهموه بالزندقة والكفر فضاعت مصنفاته في العلوم والفنون، أو أُلْفت عند احتلال الأسبان للأندلس.

وحين يقال: "إن التاريخ يعيد نفسه"، نشهد اليوم مباحكة جديدة تتمثل في صراع الحضارات وصادمها، الأسطورة الأزلية الأبدية، هذا المفهوم الذي يعمل على محو تراث الشعوب وتاريخ الأمم وحضارة الإنسان، ليسود العالم فكر واحد يقوم على العنف والإرهاب والطغيان.

لكننا في سورية، وطن التاريخ والديانات والآثار، قدّمنا للبشرية أول أبجدية في العالم من "أوغاريت في رأس شمرا"، وأول نوبة موسيقية كنعانية مدونة، وأول مكتبة فخّارية وثائقية منظّمة من "إيبلا في تل مريدخ"، وعندنا ظهرت "حضارة المعدن" حين اكتشف النحاس على ضفاف "نهر الخابور"، وعرفنا الزراعة في شمالها فاستتبنا أول حبة قمح، ونحن الذين منحنا روما عدداً من الأباطرة والمهندسين ورجال القانون، وطوّروا علم الفلك والطب والهندسة والفلسفة والرياضيات، وأقمنا أول مستشفى بدمشق في العصر الأموي، ومن أرضنا كانت الفتوحات التي نشرت حضارة الفكر العربي والإسلامي من الصين إلى المحيط الأطلسي.

فعسى أن يكون عملي هذا استمرار في سقاية شجرة الخير والعطاء للإنسانية جمعاء حتى تثمر براعمها محبة وإخاء.

قتيبة